المدن الايرانية فـــي ســفر نـــامة لناصر خسرو

م.م. هدى عيدان جبار الربيعي

جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم الجغرافية

Iranian cities in Nasser Khisrow's "Safar Nama"

Assist. Inst. Huda Idan Jabar

College of Education for Humanities/University of Al-Muthanna

07804087462hudaidan@mu.edu.iq

Abstract

Nasser Khisrow Alawi is a Persian traveler who has written many books on poetry, philosophy, history and geography. His book " Safer Nama" is a living example and a real witness of the journeys of the Middle Ages brought by the greatest geographers .

In this book, he described the most beautiful and accurate content of the places visited, according to the descriptive approach and the nature of geographical distribution. The Iranian cities had a share in his book as they represent his mother country so his description of the views and the nature of their markets and trade, existing industries and the type of construction and construction built was so detailed and considered as the best representation of them in the given geographical texts dating back to that time which can be used to make comparisons between their past and present time.

The importance of this paper is in the possibility of adopting these texts in the definition of modernism and the need to promote them to derive indications and references related to the nature of geographical studies.

Key Words: Nasser Khisrow , descriptive geography , Safar Nama ,Iran.

الخلاصة:

ناصر خسرو علوي رحالة واضع العديد من المؤلفات والكتب في الشعر والفلسفة والتاريخ والجغرافية كتابه "**سفر نامة**" مثال حي وشاهد حقيقي لرحلات العصور الوسطى التي جاء بها عمالقة الفكر الجغرافي.

افترش من خلالها اجمل و ادق محتوى للاماكن التي زارها، وفق المنهج الوصفي وطابع التوزيع الجغرافي، وكان للمدن الايرانية نصيب منها اذ مثلت بلده الام لذا تجول بين مدنها وثبت وصف مشاهداتها وطبيعة أسواقها و تجارتها، والصناعات القائمة ونوع البناء والعمران المشيد بها، ليتمكن في نهاية المطاف من تمثيل الجانب الجغرافي لهذه الدولة خير تمثيل وإعطاء نصوص جغرافية تعود لفترات زمنية يمكن الاستعانة بها لإجراء مقارنات بينها وما هو عليه في الوقت الحاضر.

لتكمن اهمية البحث في الامكان من اعتماد تلك النصوص المتماشية، في تعريف المحدثين بأهمية تلك الدراسات وضرورة النهوض بها واستخلاص الدلالات و الاشارات المتعلقة بطبيعة الدراسات الجغرافية.

الكلمات المفتاحية: ناصر خسرو، الجغرافية الوصفية، سفر نامة، ايران.

المقدمة:

يعد القران الكريم خير برهان ودليل موجه لأهل العلم والمعرفة فقوله تعالى " **افلم يسيروا في الأرض**"[818] او قوله تعالى " **وفي الارض آيات للموقنين**"[819] ما هي إلا حافز لبدأ الطريق في الجمع و التنقيب عن المعلومات و غرائبها وأسباب وجودها، و الرحلة مسار اتبعه الكثير من الاعلام قاطعي البحار والأنهار والصحاري رغبة منهم في التعرف على المجهول، بغض النظر عن

([818]) القران الكريم، سورة الحج، الاية 46.
([819]) الذاريات، الاية20.

سعة بلدان العالم المترامية الاطراف وتباعد الطرقات والمسافات او اختلاف الامم واللغات بل زاد ذلك من الترحال الى البقاع البعيدة وكشف الاحداث فيها.

ناصر خسروا احد اولئك الرحالة العرب القلائل شارك في علوم عصره آنذاك وارتقى بكم وافر من المعلومات، وله قصب السبق في علمي الجغرافية والسياسية فضلاً عن كونه شاعر يشاد له بالبنان، زد على ذلك فهو دبلوماسي محنك، جامع كم هائل من المعلومات في التاريخ والجغرافية بشكل عام، لذ يعد من كبار اعلام العرب المسلمين، و الذي قضى سنوات طوال في الترحل بين اقطار المشرق الاسلامي، دفعته عوامل عدة من الانتقال بين البلدان والوقوف عند ابرز مشاهدها، متجلياً ذلك من خلال كتابه "**سفر نامة**"، الرحلة المنطلقة من ايران بلد ناصر خسرو الى الشام وفلسطين ثم مصر وبلاد العرب الى البصرة وحتى ايران من جديد، اذا عاد لها بعد معايشة الناس والتعرف على واقعهم وطبيعة معيشتهم ثم معاينة الواقع الجغرافي لتلك البلدان ووصف خصائصها ومدى ما تتركه من اثر في صفات الناس ومظاهر الحياة المتعددة، وثق معلوماته ليعطي جغرافية وصفية تتناول الجوانب الطبيعية والبشرية. لذا يعد بالحق نموذجا شامخاً من نماذج كتب الزيارات(الرحلات) التي تميز بها القرن الخامس الهجري والذي افتخرت به الحضارة العربية الاسلامية ولا يزال مبعث فخر في المكتبات العربية والعالمية.

1- **مشكلة البحث**. تتجلى في سؤال يطرحه الباحث من اجل الوصول الى الاجابة من خلال سير البحث وتتمثل بالاتي:(ما اهم المدن الايرانية التي استعرضها ناصر خسرو في كتابه، وهل تمكن من ابراز المعطيات الجغرافية عند استعراضه لتلك المدن).

2- **فرضية البحث**. تتمثل فرضية البحث اجابة عن التساؤل السابق هي : (تطرق ناصر خسرو الى عدد كبير من المدن الايرانية بشكل مفصل، فضلاً عن ابرازِهِ لأهم الملامح الجغرافية فيها).

3- **اهمية البحث**. تدور اهمية البحث من خلال اهمية الكتابات التي قدمت خلال العصور الوسطى، والتي مثلت التراث الجغرافي القيم آنذاك، اذ ان الوقوف على ما جاء به السابقين يسهم في عرض دراساتهم والاستفادة منها للمقارنات في الوقت الحاضر او معرفة اوضاع البلدان خلال فترات زمنية سابقة.

4- **هدف البحث**. يتركز هدف البحث وغايته في تقديم الدراسة التي جاء بها ناصر خسرو للمدن الايرانية من خلال رحلته وما تتميز به تلك المدن من ملامح جغرافية طبيعية وبشرية.

5- **حدود البحث**.تتمثل في الاتي:

- **الحدود الزمانية**. تتجلى بحياة الرحالة ناصر خسرو حتى وفاتهِ.
- **الحدود المكانية**. تتضمن بالمدن الايرانية التي استعرضها ناصر خسرو في كتابه خريطة(1).

خريطة(1) المدن الايرانية

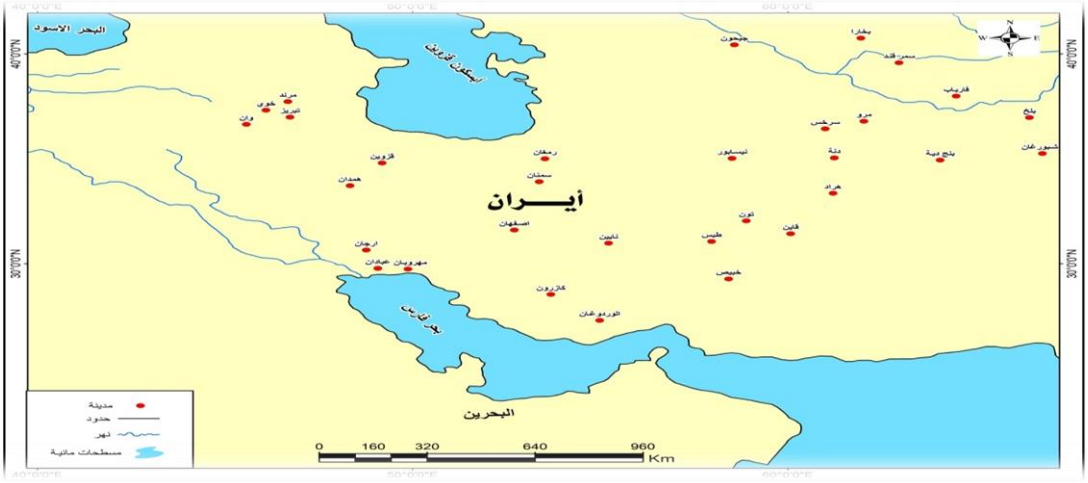

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على: ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ط2، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص43.

6- **منهج البحث:** المنهج الوصفي ابرز المناهج العلمية وضوحا في كتابات اعلام الجغرافية لكون الوصف اول من ثبت تلك المشاهدات الجغرافية بصورتها العفوية الواضحة، اذ يتضح ذلك جليا

من خلال استقراءات النصوص فضلاً عن التتبع التاريخي، ثم يتصدر التحليل العلمي للنصوص.

7- **هيكلية البحث:** تضمن ثلاث محاور رئيسة تتقدمها مقدمة شاملة، تمثل المحور الاول بسيرة حياة ناصر خسرو، بينما عرج المحور الثاني على خصائص كتابه ومنهجه، ليركز المحور الثالث على المدن الايرانية في كتابه، بعدها يختتم البحث بالنتائج والتوصيات وقائمة المصادر المعتمدة في البحث.

اولاً- سيرة حياة ناصر خسرو.

ناصر خسرو حارث القبادياني المروزي، احد كبار علماء العرب المسلمين في علمي الجغرافية والسياسة، فارسي الاصل والنشأة و الثقافة[820]، ويرى بعض المؤرخين ان نسبه يربطه بالإمام علي (عليه السلام) ولد في بلدة قبادیان من اعمال مدينة مرو سنة 394هـ/1003م[821].

يكنى ابو معين الدين ولقب بعدة القاب مثل (شاعر، فيلسوف، حكيم، حميد الدين، حج، العلوي) وغيرها وهي القاب اطلقت عليه وهو في "**يمكان**" حيث مكان منفاه، و لأهمية وعظمة نظرة الناس اليه فأطلقوا عليه (سيد شاه ناصر ولي، بيرشاه ناصر، بير كامل)[822] .

ترعرع وتعلم في بلاد فارس شارك في علوم عصره ونال حظاً وافراً من معارفه، وقد عاش نيفاً و اربعون عاماً من حياته عاملاً حكومياً متوسط الحال بمدينة مرو في ديوان السلاجقة[823]، في كنف عائلته مع ابوه وإخوته، في جو قلق و مضطرب سياسياً ودينياً[824]، وتعد اسرته من الاسر الفارسية العريقة التي عملت في شؤون البلاط والوظائف الادارية[825]، ثم اعتراه تحول

([820]) نزار عبد المحسن جعفر الداغر، صورة البصرة عند البشاري المقدسي وناصر خسرو قبل عام 375هـ-985م وعام 443هـ-1042م، مجلة آداب البصرة، المجلد1، العدد63، البصرة، 2012، ص206.

([821]) علي عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية، ط2، مطبعة مكتبة التوبة، بدون مكان، 1993، ص143.

([822]) رمزية حمزة حسن، الجوانب الحضارية في (سفر نامة) ناصر خسرو(347-444ه/1045-1052م الجانب السياسي والعسكري انموذجاً)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية "مجلة علمية محكمة"، المجلد8، العدد25، تشرين الاول 2016م-1438هـ، ص192.

([823]) اغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ج1، الادارة الثقافية بجامعة القاهرة، القاهرة، 1957، ص259.

([824]) احمد رمضان احمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، ب ت، ص239.

([825]) رمزية حمزة حسن، مصدر سابق، ص192.

نفساني عميق دفعه الى التجوال سبع سنوات، بعد ان ظل يعيش عيشة ترف وبطالة حتى سنة 437هـ/1045م، فضحى بمنصبه وبدأ حياة جد وسفر وعلم و تقوى، انهى فترة طويلة جداً من حياته وهو يجوب الارض[826]، وبعد عودته الى بلده دعى الناس الى مذهبه الجديد الاسماعيلية، لكن السلاجقة قد لاحظوا اثر هذه الدعوة، فاضطهد، واضطر الى الفرار الى بلاد ما وراء النهر حيث بقي في منفاه الى ان توفي سنة 453هـ/1061م، ودع الحياة في يمكان بدخشان ويذهب كراتشكوفسكي الى ان وفاته كانت في عام 481هـ او 1088م [827].

قبل منفاه كان ناصر خسرو دبلوماسياً محنكاً، لذا صار قريب الصلة من ولاة الامر آنذاك فعمل في بلاط محمود الغزنوي وابنه مسعود، ونال اعجاب واحترام وتقدير السلطانين، لذا بقي تأثيره على العلماء المعاصرين له كبير جداً، فجمع الكثير من المعارف الخاصة بعلمي الجغرافية و التاريخ، وكان مطلعاً ملماً بنتاج علماء العرب والمسلمين في العلوم و خاصة في ميدان علمي الفلسفة و الجغرافية، لذا ذاع صيته بين معاصريه، حتى اعتكف سنة 443هـ على تأليف كتابه والذي بقي من اهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون لوصفه الدقيق وعنايته الشديدة في تقصي اخبار البلاد التي زارها [828].

وعن النتاج الفكري لناصر خسرو يمكن ايجاز الاتي[829]:-

1- **سفر نامة:** كتاب يحمل كم هائل من الصور الرائعة الغنية بالمعلومات والنصوص الجغرافية والتاريخية عن الاقطار التي زارها في تنقله(وهو ما يخص موضوع البحث).

2- **كتاب وجه الدين.**

3- **ديوان شعر، ديوان كبير ذو طابع فلسفي.**

4- **كتاب الصفاء والذي صنف بالشعر الحر.**

5- **كتاب السعادة وهو ايضا في الشعر الحر.**

6- **زاد المسافرين.**

7- **الرسالة كتاب صغير ملحق بالديوان.**

8- **بستان العقول.**

9- **دليل المتحرين.**

10- **خوان الاخوان: يتحدث في المعتقدات الدينية.**

11- **جامع الحكمتين.**

وثمة كتب اخرى(**لسان العالم، اختيار الامام- اختيار الايمان- رسالة الندامة الى زاد القيامة-ديوان شعري باللغة العربية وهو مفقود، و كوشايش وروهايش).**

ثانياً-خصائص كتابه ومنهجه:

1- **خصائص كتابه:**

لابد من الوقوف للتعرف و الاحاطة بخصائص كتاب "**سفر نامة**" لناصر خسرو الفارسي الاصل، اذ ترجم هذا الكتاب للعربية لأول مرة عن الفارسية من قبل العلامة "**شارل شيفر**" والتعليق عليه مع مقدمة وترجمة لناصر خسرو وذلك في باريس كما

([826]) ابراهيم احمد سعيد، ممدوح شبعان دبس، تطور الفكر الجغرافي، منشورات جامعة دمشق كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق،2010-2011، ص148.

([827]) ينظر الى :عبد الرحمن حميدة، اعلام الجغرافيين العرب، ط1، دار الفكر، دمشق، 1993، ص331-332. و عصمت اسماعيلي، مكانة الشام والقدس في النصوص الادبية الفارسية "سفر نامه" ناصر خسرو-نموذجاً، دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص341.

([828]) علي عبد الله الدفاع، مصدر سابق، ص143.

([829]) ينظر الى: المصدر نفسه، ص144 و رمزية حمزة حسن، مصدر سابق، ص193-195.

نشره" **غني زادة**" في برلين ثم ترجمة للعربية من قبل الدكتور "**يحيى الخشاب**" وطبع في القاهرة من قبل الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهي الطبعة الثانية 1993م ولكن هناك طبعة اولى له صدرت عام 1943م في القاهرة ايضاً، وقد مثل صورة حية للبلدان و احوال السكان وخصائص الاوضاع التي يعيشوا فيها، ويقسم كتابه من قبل المترجم الى ثلاثة مراحل كالاتي[830] خريطة(2):

خريطة(2) المدن التي مرت بها رحلة ناصر خسرو

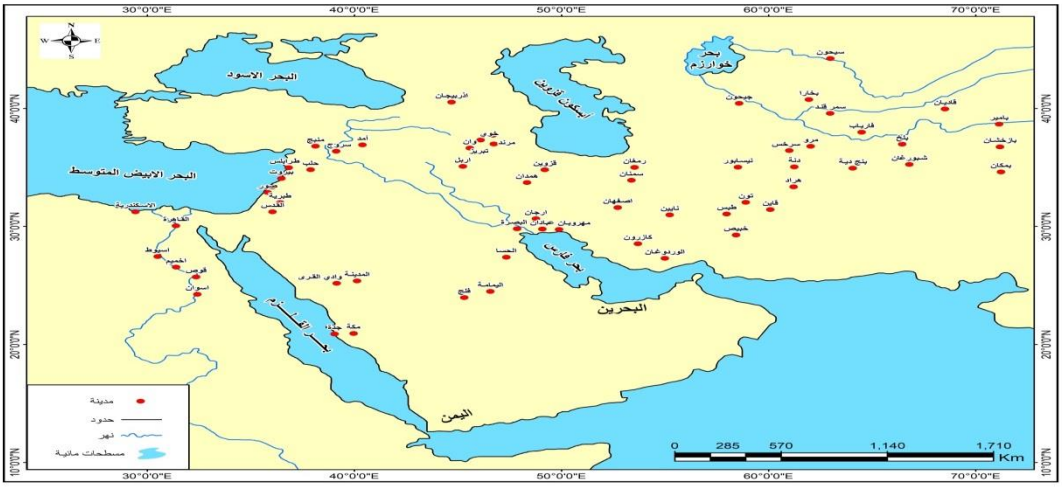

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على: ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ط2، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص43.

المرحلة الاولى : تبدأ بخروجه من مرو سنة(437هـ / 1045م) ومنها الى نيسابور والري و تبريز و ميفارقين و آمد وحران ودخل سورية بطريق منبج، اذ زار امهات المدن ثم توجه نحو لبنان وثم القدس ثم حج وعاد الى القدس حتى وصل المصر سنة(439هـ/ 1047 م) وأقام في مصر ثمانية اشهر، وكانت لغرض الحج.

المرحلة الثانية : وتبدأ من رحلته بعودته لتأدية فريضة الحج للمرة الثانية سنة(439هـ1047م) وعودته الى مصر و اقام فيها ثلاث سنوات وثلاثة اشهر حتى سنة (442هـ/ 1050م). وكانت لغرض ديني والتعرف على حقيقة المذهب الشيعي الاسماعيلي.

المرحلة الثالثة : وتبدأ بمغادرة عاصمة الفاطميين نهائياً وذهابه الى الحج بطريق عيذاب الى جدة وبعد تأدية الفريضة للمرة الثالثة عاد الى بلخ عن طريق الحجاز وفلج والحسا والبصرة ثم الى بلخ حيث وصلها سنة (444هـ/ 1052م)، وعاد اليها بصحبة اخيه ابي الفتح عبد الجليل تنقل بين مدنها للأسباب دينية حتى استقر في يمكان وتوفي فيها.

لكنه خلال هذه الرحلة تمكن من تثبيت حوادثه ومعلوماته يوماً يوما، اذ كان يتقصى الاخبار ورواياتها عن مجمل البلاد التي ذكرها، سفر نامة مزيج جغرافي متناغم بالأحداث التاريخية والابعاد الاجتماعية للسكان .

لذا فكتابه تجده مصنفاً بشكل فصول وعلى النحو الاتي:-

1-وصف الشام وفلسطين.

2-وصف مصر وهي صاحبة النصيب الاكبر ضمن طيات هذا المؤلف.

3-وصف بلاد العرب.

4-وصف البصرة.

([830]) احمد رمضان احمد، مصدر سابق، ص240-243.

5- وصف ايران بلد المؤلف كانت الغاية منها الوقوف عند نهاية مطاف رحلته والتعرف على اهم ما ثبته من حقائق ونصوص دقيقة عن اهم المدن الايرانية التي جابها في ختام تلك رحلة وعرض تصور جغرافي عنها بإمعان وتأمل لكونها موطنه الاصلي.

6- المقاييس والموازين والنقود التي جاء ذكرها في الرحلة.

2- **منهجه:** ان المتتبع لما جاء به ناصر خسرو في كتابه "**سفر نامة** " يجده بعيد عن الصنعة بسيط الاسلوب، اذ يعد كتابه مذكرات لماراه وسمعه من مشاهدات، فقد اعتمد على جانبين اساسين للرحلة هما جمع المعلومات عن مجمل الظواهر و الاحداث من جهة و دقة المعلومات وصحتها من جهة اخرى، ليبرز بوضوح المنهج الوصفي ضمن طيات كتابه، المقرون بالتتبع التاريخي، وهذا يشابه مسار هواة الرحلة الجغرافية امثال ابن فضلان وابن جبير وابن بطوطة وغيرهم الكثير على سبيل المثال لا الحصر اذ اضافت مشاهداتهم الشخصية الشيء الكثير للجغرافية والخرائط، فهي لا تنضب من المعلومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية و الأنثروبولوجيا فهي بمثابة حقل ميداني وتعامل مباشر مع الظاهرة[831]، وهذا ما شهدته نصوص ناصر خسرو سواء وهو يشير الى وضع سياسي اوديني او اقتصادي، ومن ابرز نصوصه " **وقد رأيت كثيرا من المدن والقلاع في اطراف العالم، في بلاد العرب والعجم والهند والترك، ولكني لم ار قط مثل مدينة آمد، في اي مكان على وجه الارض، ولا سمعت من احد انه رأى مكانا اخر مثلها. ومسجدها الجامع من الحجر الاسود...**"[832] كمثال على الوصف المتتبع والمعاينة المباشرة يمكن معرفة ذلك قبل البدا بقراءة النصوص من خلال عناوين الفصول مثل وصف الشام وفلسطين، وصف مصر وهكذا، وفي وصف دور مدينة القاهرة قال " **وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول انها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والاجر والحجارة. وهي بعيدة عن بعضها، فلا تنمو اشجار بيت على سور بيت اخر...**"[833] و ايضاً قوله واصفا لمدينة طرابلس " **وفي وسط المدينة جامع عظيم، نظيف، جميل النقش حصين، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام في وسطه فوارة من النحاس الاصفر**"[834] ثم يصف" **وفي الرملة صنف من التين ليس احسن منه في اي مكان يصدر منها الى جميع البلاد...**"[835]، فالانتقال وتبادل المعلومات ممن سبقه او مدى اهتمامه بالمؤلفات السابقين او التقائه بأهل العلم والمعرفة في مكة ومصر وغيرها من مراكز العلم وكذلك شغفه بالعلوم و الادب وحبه للتطلع والتعرف امور ساهمت في اتقان مؤلفه وغزارة معلوماته عن المناطق التي زارها، ولكن من اهم ما يثمن نتاجه الجغرافي ان الرحلة تثبت مشاهداتها بالدرجة الاساس على المشاهدة الملاحظة الشخصية، التي ينبعث منها الوصف الجغرافي بشكل بالغ الدقة وهذا ما اغنى نصوص ناصر خسروا بدرجة الاساس.

والرحلة بالحق مثلما اشار الدكتور حسين محمد فهيم في كتابه ادب الرحلات "**لقد كانت الرحلة اذا عونا كبيرا للمؤرخ والجغرافي على حد سواء ولعل من اهمية الرحلة لأعمالها هو صقل المنهج، وتأكيد المشاهدة والمعاينة، الامر الذي اوثق المرئيات واكد حدوث الوقائع. هذا علاوة على ما وسعته الرحلة من افق و مدارك كل من الجغرافي والمؤرخ بسبب اتساع دائرة اتصالها بالبلدان والاقوام، وحوارهما مع العلماء واصحاب المعرفة بأحوال البشر وتقلبات الاحوال في الزمان والمكان**"[836]. وهذا

([831]) صبري فارس الهيتي، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص49-50.
([832]) ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ط2، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص53.

([833]) المصدر نفسه، ص106.
([834]) المصدر نفسه، ص58.
([835]) المصدر نفسه، ص66.
([836]) حسين محمد فهيم، ادب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1989،ص89.

يدل على ان للرحلة بالرغم من تغير كل من المكان والزمان الا انها تعد سلاح الجغرافي او العصاة التي يتكأ عليها في تحديد مسار دراسته ومنهجه وتنظيم معلوماته ومشاهداته.

ووفق ما جاء به الدكتور زكي محمد حسن واختتم قوله عن ناصر خسرو "**وصفوة القول ان رحلة ناصر خسرو في الشرق الادنى تميط اللثام عن كثير من نظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في منتصف القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)**"[837]، وهي جوانب غاية في الاهمية لارتباطها في المكان للتبرز من خلالها نصوص جغرافية واضحة المعالم.

ثالثاً_ المدن الايرانية في كتابه:

ايران لن تغيب في ثنايا كتاب "**سفر نامة**" بل نالت جانب مميز كونها بلد ناصر خسروا وقد عاد بعد رحلة طويلة اليها ليكمل مشاهداته عنها في كتابه بوصف مدنها وما ينطوي من احداث ودلالات جغرافية بحقليها الطبيعي والبشري واهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ومنها الاتي:

1- **مهروبان:** من اولى مدن ايران التي ابتدأ الحديث بها ويحدد موقعها فيقول "**وهي مدينة كبيرة على شاطئ البحر الشرقي...** "[838]، ليكمل قوله" **بها سوق كبير وجامع جميل...**"[**839**]، وصف دقيق لناصر خسروا، اذ ركز على جوانب اقتصادية كالسوق الكبير دلالة على حجم السكان المتواجدين في المنطقة ونوع الانشطة والبضائع والمنتجات، فضلا عن اشارته للجامع كدلالة دينية للمدينة، ثم يعرج على مصدر المياه فيها وهو دلالة على اهتمامه بالموارد المائية والتعرف على طبيعة اعتماد السكان عليها وكيفية استغلال تلك المياه لتكون متوافره لديهم على مدار سد احتياجاتهم وكيف تمكنوا من تخزين تلك المياه خلال مواسم التساقط وتوفيرها لعدم وجود بديل عنها بقية السنة " **ولكن ماءها من المطر، وليس بها ابار وقنوات من الماء العذب، وقد اتخذ اهلها احواضاً ومصانع ليكون الماء متوفراً دائماً...**"[840] و جانب حضاري يسلط الضوء عليه متمثل في طبيعة بناءها ومدى اهميتها مما يجعل منها مدن محصنة كمؤشر عمراني للمدينة يتحدث" **وقد بنى بها ثلاثة اربطة، كل منها كأنه حصن محكم و مرتفع**"[841].

حتى انه تكلم عن حكامها " **كانت مهروبان ملكا لأبناء ابي كاليجار الذي كان ملك فارس...**"[842]. وعن مصدر غذاء هذه المدينة يقول" **ومأكولات هذه المدينة تتحمل اليها من المدن والولايات الاخرى، اذ ليس بها شيء سوى السمك...** "[843]، اي انها تعتمد على ما يصلها من الغذاء ولا توجد مزروعات فيها فقط توجد الاسماك.

وعن اهمية المدينة وموقعها فهي تعد ميناء" **فهي ميناء وحين يسير المسافر منها جنوبا على شاطئ البحر، يبلغ توه و كازرون**"[844].

يقدم ناصر اشارات مهمة كون المدينة كبيرة الحجم ومدى فطانة سكانها والية استغلال المياه وكيف استثمرت موقعها الجغرافي المميز كميناء للنقل والتبادل في امكانية تبادل ثروتها السمكية مع المدن الاخرى لتسد حاجة سكانها من المنتجات الزراعية التي تفتقر لها، والذي عزز موقعها واهميتها الاقتصادية.

([837]) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت،1981، ص63.
([838]) ناصر خسرو علوي، مصدر سابق، ص171.
([839]) المصدر نفسه، ص171.
([840]) المصدر نفسه، ص171.
([841])المصدر نفسه، ص171.
([842]) المصدر نفسه، ص171.
([843]) المصدر نفسه، ص171.
([844]) المصدر نفسه، ص171.

2-**ارجان:** ثاني المدن الايرانية التي تحدث عنها " **ارجان مدينة كبيرة بها عشرون الف رجل، وفي الجانب الشرقي منها نهر ينحدر من الجبل الذي شقت عند جانبه الشمالي الى اربع ترع عظيمة تتخلل المدينة وقد انفق في انشائها مال كثير وتسير هذه الترع الى ما وراء ارجان وقد زرعت على شواطئها الحدائق والبساتين وبها كثير من النخل واشجار التارنج والترنج والزيتون...**"[845]، وهنا يعطي اكثر من توضيح فقط استعرض المدينة والنهر المنحدر موضحا دوره في تجزئة الجانب الشمالي، اضف لذلك ذكره انواع المزروعات على ضفاف النهر كأحد ملامح جغرافية الزراعة، حتى ان الاصطخري يؤكد اهمية هذه المدينة بإنتاجها الزراعي اذ يذكر" **ارجان مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخل كثيرة وزيتون وفواكه الجروم ...** " [846] لينتقل الى طبيعة البناء والعمران " **بنيت ارجان بحيث يكون ما تحت الارض من بيوتها مساوياً لما فوقها ويتخلل الماء هذه المساكن الارضية والسراديب في جميع جهات المدينة، حيث يستروح الناس في فصل الصيف...** "[847]، وهذا النوع من البناء لا يزال شائعاً لديهم، وهذه دلالة على كيفية التوافق ما بين الانسان والبيئة في امكانية التغلب على الظروف المحيطة والاستغلال الامثل في شق او بناء بيوتاتهم تحت الارض لتوفر مساكن ملائمة ومريحة.

ولم يغب عن ناصر خسروا ذكر مذاهب هذه المدينة وهنا يظهر مدى اهتمامه بالجانب الديني لمجتمع المدينة "**والناس هناك على مذاهب شتى و امام المعتزلة اسمه ابو سعيد البصري وهو رجل فصيح يدعى العلم بالهندسة و الحساب، وقد تباحثت معه...** "[848].

وبعد مغادرة ارجان من قبل ناصر خسرو في الاول من محرم سنة اربع و اربعين و اربعمائة (2مايو/1052) توجهه نحو اصفهان " **وقد اتجهنا ناحية اصفهان عن طريق كوهستان، فبلغنا في الطريق جبلاً به شق ضيق يقول العامة ان بهرام كور شقه بسيفه ويسمونه شمشير بريد...** "[849]، وهذه المعالم ملامح عن الجغرافية الطبيعية للبلاد واشاره الى جمالية الطبيعة فيها، ويعزز اهتمامه مصدر مائي، عاكساً اثر الظروف المناخية في ادامة هذا المصدر و انقطاعه، فيذكر" **و رأينا في هذا المكان ماء متدفقا يتفجر من عين على يميننا، وينزل من مكان عال، ويقول العامة ان هذا الماء يدوم تفجره في الصيف و اما في الشتاء فيقف ويتجمد**"[850].

3- الوردوغان: ويحدد ناصر خسرو موقعها" **وبينها وبين ارجان اربعون فرسخا[851]، ولوردوغان هذه هي حدود فارس ومن هناك بلغنا خان لنجان ورأيت اسم السلطان طغرك بيك مكتوبا على بابها ومنها الى اصفهان سبعة فراسخ ويعيش اهل خان لنجان امنين هادئين، كل منهم مشتغل بعمله وشئون بيته...**"[852].

الجميل بالذكر انه عندما يصف مدن ايران يقدم وصف خاص عن حياة السكان الاجتماعية وطبيعة اعمالهم ومدى الاستقرار والامن السائد فيها، كذلك ان سكانها مسالمون ينصب طبيعة حياتهم في ما يشغلهم من اعمال وشؤون منازلهم اليومية.

([845]) المصدر نفسه، ص172.
([846]) ابراهيم بن محمد الاصطخري (ت340هـ/951م)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة،1961، ص55.
([847]) ناصر خسرو، مصدر سابق، ص172.
([848]) المصدر نفسه، ص172.
([849]) المصدر نفسه، ص172.
([850]) المصدر نفسه، ص172-173.
([851]) فرسخ : تسعة الاف ذراع بذراع القدماء، واثنا عشر الف بذراع المحدثين ينظر الى:
- المصدر نفسه، ص182.
([852]) المصدر نفسه، ص173.

4-**اصفهان:** مثل ما هو متعارف عليه اغلب المدن التي تعرض لها بالذكر يقدم عنها بعد تاريخي كشاهد لزيارته لها كجزء من ترحاله فيتكلم عنها عند وصوله اليها ويتطرق الى بعد المسافة المقطوعة نحوها " **وفي الثامن من صفر سنة اربع و اربعين و اربعمائة(10 يونيو 1052) قمنا من هناك فبلغنا مدينة اصفهان ومن البصرة اليها ثمانون ومائة فرسخ...**"[853].

وعن طبيعة بناءها" **وهي مشيدة على ارض مستوية، ماؤها عذب وهواؤها عليل وحيثما حفرت الارض عشر اذرع خرج ماء عذب بارد وللمدينة سور مرتفع حصين به بوابات ومقاتلات وعلى السور شرفات، وفيها انهار جارية و ابنية جميلة مرتفعة، وفي وسطها مسجد جمعة جميل جداً ويقال ان طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف كلها عامرة من الداخل فلم ارى بها خرابا قط...**"[854]، اذ يقدم جغرافية شاملة للمدينة، من ناحية التضاريس المدينة قائمة على ارض مستوية، اما من ناحية مناخها وجمال طبيعتها من مياه عذبه وهواء لطيف، وانهار جميلة وجمال البناء القائم فيها، وهذا يمثل الفكر العمراني المتطور والمشيد فيها ومدى تكيف البيئة مع الانسان.

وعن اسواقها ونوع الانشطة المقامة فيها يقول" **وبها اسواق كثيرة، ورأيت فيها سوقاً من اسواق الصرافين كان بها مائتا صراف ولك سوق سور وبوابة محكمة، وكذلك للإحياء و الشوارع، واربطتها نظيفة، وفي شارع اسمه كوطراز (شارع الطرازين) خمسون رباطا جميلاً، في كل منها تجار ومستأجرون كثيرون...** "[855].

وهذا نوع من التداخل في اهتماماته بين الجانبين الاجتماعي والاقتصادي وضرورة احاطة المدينة بالأسوار المحكمة للمحافظة على امن سكانها.

ولم يغفل عن طبيعة التجارة قال" **والقافلة التي صحبناها في الطريق كانت تحمل ثلاثمائة و الف** خرواز **من البضائع**" [856]، ويعود من جديد ليثبت مشاهداته عن طبيعة بناءها وشوارعها فيقول" **ولما دخلنا اصفهان لم يتحر عن دخولنا احد، اذ لا تضيق اماكن السكنى او تتعذر الاقامة او المؤن بها...**" [857] دلالة على سعة هذه المدينة وانتظامها.

وعن طبيعة النظام الحاكم فيها يقول" **ولما استولى السلطان طغرك بيك ابو طالب محمد ابن ميكائيل بن سلجوق رحمة الله عليه على هذه المدينة ولى عليها شابا نيسابوريا كان كاتبا مجيدا حسن الخط، هادئا حسن اللقاء ولقبه الخواجه العميد كان صاحب فضل، حلو الحديث، كريماً وكان السلطان قد امر ان لا يطالب الناس بشيء مدة ثلاث سنين، فسار على ذلك و اعاد المهاجرين الى اوطانهم وكان هذا الرجل من كتاب الشورى**"[858].

ثم يعرج على القحط الذي اصاب المدينة كيف تبدل حالها نحو الاحسن بفضل محاصيلها و انتاجها الزراعي المحلي وكأنه يشير الى مدى تبدل ظروف المناخ مرة ا الى تكيف الانسان مع البيئة ومحاولة الاستفادة منها مرة اخرى " **وكان بأصفهان، قبل مجيئنا، قحط عظيم، ولكن حين بلوغنا اياها كان الشعير قد جمع وكان المن والنصف من خبز القمح يساوي درهما عدلا، و كذلك كانت ثلاثة الامنان من الشعير. وقال الناس هناك ان احدا منهم لم ير انه يبيع بها بدرهم اقل من ثمانية امنان من الخبز**"[859].

([853]) المصدر نفسه، ص173.
([854]) المصدر نفسه، ص173.
([855]) المصدر نفسه، ص 173.
([856]) المصدر نفسه، ص173.
([857]) المصدر نفسه، ص173.
([858]) المصدر نفسه، ص173-174.
([859]) المصدر نفسه، ص174.

ليعود ليصف المدينة من جديد"**ولم ار في كل البلاد التي تتكلم الفارسية، مدينة اجمل ولا اكثر سكانا وعمرانا من اصفهان** "[860]، وهو وصف شامل لمظاهرها البشرية، من كثرة اعداد السكان ومدى قدراتهم في التشييد والبناء.

ويؤكد حديثه عن جمال طبيعتها ومناخها" **وقيل انه اذا خزن بها القمح او الشعير او غيرهما من الحبوب مدة عشرين سنة لا يفسد**"، وقوله" **وقال البعض ان هواءها**

كان احسن قبل انشاء السور، وانه تغير بعد انشائه، بحيث تفسد بعض الاشياء"[861]، وهنا اشارة الى تأثير الانسان على البيئة من خلال نشاطاته المختلفة، وكيف يقارن هواء المدينة بهواء الريف"**اما الريف فقد ظل هواؤه كما كان**"[862]، لكون النشاطات البشر فيه قليلة.

ومن خلال تنقله تعرض الى اهم القرى الموجودة في طريق العودة من اصفهان ومنا هيثم اباد ذكرها بنصه " **وفي الثامن والعشرين من صفر سنة اربع و اربعين و اربعمائة(30 يونيو 1052) بلغنا قرية هيثم اباد، ومن هناك بلغنا قصبة نايين عن طريق الصحراء وجبل مسكيان. ومن اصفهان الى هناك ثلاثون فرسخا**" [863]، بعدها قرية كرمة ووصف مناخها واهم محاصيلها " **وقد سرنا من نايين مسافة ثلاثة واربعين فرسخا حتى بلغنا قرية كرمة من ناحية بيابان التي بها عشر او اثنتا عشرة قرية، وهي جهة جوها حار وبها نخيل...** "[864]. اما قرية بيادة تحدث عنها" **وحين بلغناها كان الامير كيلكي قد استولى عليها منهم ونصب عليها نائباً من قبله، وجعل مقامه في قرية ذات قلعة تسمى بيادة** "[865].

بعدها تكلم عن طبيعة الطريق الصحراوي" **وفي هذا الطريق الصحراوي، بين كل فرسخين في المواضع غير الملحة قباب صغيرة وخزانات يتجمع فيها ماء المطر، وقد شيدت القباب حتى لا يضل المسافرون الطريق، ولكي يأووا اليها ساعات في الحر والبر. وقد رأينا في الرمل المتحرك، وكل من يتحول عن العلامات(التي وضعت في الطريق للإرشاد)، فانه لا يستطيع الخروج من وسط هذا الرمل و يهلك** "[866]. هنا نستدل اشارتين غاية في الاهمية ومنها ان خزانات المياه مرة لحفظ ماء المطر، والاخرى علامات دالة للمسافرين واماكن استراحة لهم.

وكذلك يكمل حديثه عن طبوغرافية المنطقة " **وبدا لنا طوال ستة فراسخ ارض ملحة متحركة يختفي فيها من ينحرف اليها عن الطريق المحدود . ومن هناك ذهبنا عن طريق رباط زبيدة المسمى رباط المرامى، وهو يحتوي على خمس ابار، ولولا هذا الرباط والماء الذي به لما استطاع احد اجتياز هذه الصحراء** " [867].اي ان هذه الصحراء لا يمكن عبورها من قبل المارة لبعد المسافات وصعوبة سطحها وعدم وضوح حدودها.

5-طبس : وهي من المدن التي تناولها بالبحث فقال" **وفي التاسع من ربيع الاول سنة اربع و اربعين و اربعمائة(9يوليو1052) بلغنا طبس**"[868]، وعن بعد المسافة المقطوعة" **ويقال ان بينها و بين اصفهان عشرة ومائة فرسخ**"[869]، ليكمل وصفه "**وطبس مدينة مزدحمة ولو انها تشبه القرية، ماؤها فرسخ** "[870]، اي انها ذات حجم سكاني كبير ولكنها صغيرة الحجم او

([860]) المصدر نفسه، ص174.
([861]) المصدر نفسه، ص174.
([862]) المصدر نفسه، ص174.
([863]) المصدر نفسه، ص174.
([864]) المصدر نفسه، ص174.
([865]) المصدر نفسه، ص 174-175.
([866]) المصدر نفسه، ص175.
([867]) المصدر نفسه، ص175.
([868]) المصدر نفسه، ص175.
([869]) المصدر نفسه، ص175.
([870]) المصدر نفسه، ص175.

دلالة الى ان بناءها المعماري مشابه لبناء القرى المقامة ان ذاك، ولكن بالرغم من ذلك يتوافر فيها الانتاج الزراعي" **و بها النخل والبساتين...** "[871].

وعن الرقة التي وصلها" **وبعد اثنى عشر فرسخا من قيامنا من طبس بلغنا قصبة تسمى الرقة، بها مياه جارية و زروع وبساتين و اشجار وحصن ومسجد جمعة وقرى ومزارع كبيرة** "[872]. وهنا يستعرض اشارات جغرافية متداخلة اذ استوقف عند دور المياه الجارية في قيام البساتين، اضف لذلك يعكس دور الموارد المائية في اقامة المدن والزروع والاستفادة منها في سد حاجات السكان، اذ ان من عادة السكان الاستقرار بجوار المياه.

وعن امن هذه المدينة يذكر" **وكان اميرها في ذلك الوقت كيلكي بن محمد الذي استولى عليها بالسيف. والناس هناك في سلام وامن عظيمين، حتى انهم لا يغلقون بيوتهم ليلا، ويتركون البهائم في الطريق، مع ان المدينة غير مسورة...**"[873].

ومن بين نصوصه اشار الى كلاً من نيسابور وخبيص وهما مدينتان من المدن المثبتة في خريطة رحلته" **وتقع نيسابور على مسيرة اربعين فرسخاً منها**"[874] اي من طبس، اما "**خبيص على مسيرة اربعين فرسخا جنوبا في طريق الصحراء، وناحية المشرق جبل صعب المرتقى**"[875]. اذ ان هذه المدن تمثل جوار لمدينة طبس.

6-**تون**[876] **:** يتحدث عنها" **وفي الثاني عشر من هذا الشهر (يعني اغسطس) بلغنا تون، وبينهما عشرون فرسخا**"[877]، اي المسافة ما بين الرقة و تون. ليصف المدينة " **وتون مدينة كبيرة، ولكن معظمها كان خرابا حين رأيتها. وهي على حافة واد به الماء الجاري و القنوات، وفي جانبها الشرقي بساتين كثيرة. ولها حصن محكم**" [878]، وهنا قد يشير الى الغرابة في كون الخراب يم ارجاء المدينة بالرغم من توافر عناصر الحياة فيها، وهذا يمكن ان يعود الى فترة تدهور كانت قد تعرضت لها المدينة، ثم يبرز اهتمامه بأنشطة سكانها ونوع الصناعات القائم فيها "**وقيل انه كان بها اربعمائة مصنع للسجاد**"[879].

اما عن المزروعات التي تكثر في هذه المدينة" **وفي المدينة كثير من شجر الفستق في بساتين المنازل. ويعتقد سكان بلخ و طخارستان ان الفستق لا ينبت ولا ينمو الا على الجبال**"[880].

7-**قاين** : وعندما وصل ناصر خسرو اليها ثبت مشاهداته عنها"**وفي الثالث والعشرين من شوال(23 اغسطس) بلغنا مدينة قاين، وبينها وبين تون ثمانية عشر فرسخا، تجتازها القافلة في اربعة ايام، وهي مسافة شاقة. و قاين مدينة كبيرة حصينة حولها خندق. وبها مسجد جمعة به مقصورة عليها عقد عظيم لم ار اكبر منه في خراسان وهو غير متناسب مع حجم المسجد** "[881]. وصف ناصر خسرو هنا يبين بعد المدينة عن قاين ثم اتساع المدينة وعدم قناعته بنوع العمران القائم، دلاله على ثمة تمايز في العمران بين المدن، ونقده لطبيعة العمران القائم فيها لم يتناسب مع مساحتها.

([871]) المصدر نفسه، ص175.
([872]) المصدر نفسه، ص176.
([873]) المصدر نفسه، ص175.
([874]) المصدر نفسه، ص175.
([875]) المصدر نفسه، ص175.
([876]) تون: في لغة العرب البياض في الاظفار، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن. المصدر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي (575هـ/1179م - 627هـ/1229م)، معجم البلدان، المجلد 2، ط8، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص62.
([877]) ناصر خسرو، مصدر سابق، ص176.
([878]) المصدر نفسه، ص176.
([879]) المصدر نفسه، ص176.
([880]) المصدر نفسه، ص176.
([881]) المصدر نفسه، ص 177.

ويتبع كلامه حول وصف مساكن المدينة" **وعلى جميع بيوت المدينة قباب وزوزن على مسيرة ثمانية عشر فرسخا من الجانب الشرقي الشمالي لقاين. ومنها جنوبا الى هراة ثلاثون فرسخا**"[882].

لم يغب عن ناصر خسروا ان يذكر حديث له فيما يخص الجانب الفلكي" **ورأيت بقاين رجلا اسمه ابو منصور محمد بن دوست، ملم بكل علم، من طب وفلك و منطق، فسألني: اي شيء خارج هذه الافلاك، اما ما وراءها فلا يجوز ان يسما شيئا. فقال: ما وراء السموات معنوي ام مادي؟ فقلت: لا جدال ان العالم محدود، وحده فلك الافلاك. والحد لا يفصل فلكا عما عداه. فإذا علم هذا وجب ان يكون ما وراء الافلاك مخالفا لما في داخلها...** "[883].

8-سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة وواسعة وهي بين نيسابور و مرو وسط الطريق، وهي في الاقليم الرابع، وهي مدينة عطشة لا ماء بها سوى الابار العذبة اي لا نهر جار بها الا ايام قليلة في السنة[884]، يذكرها بنصه" **وخرجنا من قاين قاصدين سرخس فبلغناها في الثاني من جمادى الأخرة(اول اكتوبر)، وقدرت من البصرة الى سرخس تسعين وثلاثمائة فرسخ. وقد غادرنا سرخس عن طريق الرباط الجعفري والرباط العمروي والرباط النعمتي، وهي ثلاثة اربطة متقاربة على الطريق**"[885].

نستنتج من مشاهدته ان مدينة سرخس على عكس المدن المذكورة سابقاً، تخلوا من المياه فهي مناطق جافة وهذا ينعكس على اعداد السكان المتواجدين فيها وايضا على المحاصيل الزراعية، ولكن اعتمادهم بالدرجة الاساس على مياه الابار، حتى يتمكنوا من مواصلة الحياة ومتطلباتها، وهو يعكس الية تكيف الانسان مع البيئة المحيطة.

9-مدينة مرو الرود : "**وفي الثاني عشر من جماد الاخر بلغنا مدينة مرو الرود، وخرجنا منها بعد يومين وتبعنا طريق اب كرم...**"[886].

10- **فارياب**: وعنها يذكر" **وفي التاسع عشر بلغنا فارياب بعد ان سرنا ستة وثلاثون فرسخا** "[887].

11- خراسان و دستكرد و شبورغان : " **وقد مضى على خروجنا من خراسان سبعة اعوام، فلما بلغنا دستكرد، رأينا امتعة تنقل الى شبورغان، فسأل اخي الذي كان معي لمن هذه؟ فقيل له: انها لهذا الوزير** "[888]. و شبورغان مدينة طيبة من الجوزجان قرب بلخ[889].

وهذه المدن لم يعطي وصف لمشاهداته عنها وقد يرجع السبب للمرور السريع فيها خلال تجواله.

12- بلخ : مدينة مشهورة بخراسان، تقع في الاقليم الخامس وقال ابو عون عنها" **بلخ في الاقليم الخامس، طولها ثمان وثمانون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة واربعون دقيقة، وبلخ من اجل مدن خراسان واذكرها واكثرها خيراً واوسعها غلة، تحمل غلتها الى جميع خراسان والى الخوارزم...** "[890]، ومن اللطيف ان نستذكر وصف ناصر خسرو لمدينة بلخ التي اعطى عنها نصا مفصلاً اذ تطرق الى ابعادها من الطول والعرض وهذا يسهم في تعزيز معلوماته بدقه، ثم جودة وكثرة المنتجات الزراعية فيها وجمال مناخها، ولكثرة ما متواجد فيها تصدر الى مدن اخرى، وهذه اشارة الى ملامح الى اهمية التجارة والنقل في اغلب تلك المدن.

([882]) المصدر نفسه، ص177.
([883]) المصدر نفسه، ص177.
([884]) ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج3، ص208.
([885]) ناصر خسرو علوي، مصدر سابق، ص178.
([886]) المصدر نفسه، ص178.
([887]) المصدر نفسه، ص178.
([888]) المصدر نفسه، ص178.
([889]) ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج3، ص323.
([890]) المصدر نفسه، مج1، ص479.

ثم يقول" **وسرنا نحن الى بلخ عن طريق ميان روستا**" [891]، "**وفي هذا التاريخ نفسه بلغنا بلخ** "[892] **ويقصد يوم السبت السادس والعشرين من جمادي الاخر سنة اربع و اربعين و اربعمائة (26 اكتوبر 1052)**، وهنا يوضح المسالك والطرقات التي تؤدي الى المدينة وامكانية الوصول اليها ثم يقول فيه ابيات شعرية منها:

" **فأن يكن تعب الدنيا وعناؤها طويلين، فشرها وخيرها لا محال منتهيان** "

" **ان الفلك يتحرك من اجلنا ليل نهار، وكلما راح منا واحد تلاه اخر**"

" **انا نروح ونغدو في الحياة، الى ان تحين الروحة التي لا عودة منها**"[893].

ليختتم رحلته بكلمات مهذبة تدل على امانته وحرصه " **وقد وصفت بأمانة ما رأيت في رحلتي. و اما ما سمعته، وكان عليه اعتراض، فلا ينسبه القراء الي ولا يؤاخذوني او يلوموني عليه. وان وفقني الله سبحانه وتعالى وسافرت ان شاء الله تعالى وحده العزيز، والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله وصحبه اجمعين**"[894]

خلاصة الحديث ناصر خسروا تجول في مدن عدة لإيران وكان يذكر كل ما شاهده عنها والمتتبع كتاباته انه يشير الى البلد الذي انتهت الرحلة الطويلة فيها، متنقلاً بين مدنها حتى وصل الى بلخ، وما رافقه من احداث سياسية لأسباب مذهبية جعلت ينتقل بعيداً عن السلطة الحاكمة، ان ما ثبته يعد خليط بين احداث سياسية ودينية وتاريخية إلا ان النفس الجغرافي يبرز هنا وهناك في ذكر مواقع المدن وطبيعة معيشة سكانها و مناخ تلك المدن و انواع الانشطة البشرية من اسواق وصناعات قائمة ولم يغب عن باله مساجد تلك المدن، وكذلك يتطرق احياناً الى مصدر المياه المعتمد من قبل السكان وعن نوع محاصيلهم الزراعية، وكأن الجانب الاكبر الذي يبرز في جغرافية ناصر خسروا هو الفكر العمراني وطبيعية بناء هذه المدن وشوارعها وتنظيمها فضلا عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لها، ويبين لنا حقيقة ان الانسان في هذه المدن تمكن بالدرجة الكبيرة في التحرر من البيئة الطبيعية واثرها، واستطاعة التكيف معها واستغلالها.

فايران الواقعة غرب اسيا وذات المكانة المهمة والمساحة الشاسعة والتي تعد بلد ناصر خسرو استعرض مدنها بصورة جغرافية الدلالة والوضوح ولكن ما يؤخذ على كتاباته انه لم يتكلم بشكل تفصيلي عن موضع ولادته وسكنه والبيئة الجغرافية المتمثلة فيها بالرغم من كونه ابن المدينة.

النتائج:

1- يوصف ناصر خسروا بأحد اعلام الفكر الجغرافي لما تركه من نتاج علمي مميز وذو وصف دقيق يكمن في ترجمة شامله لمشاهداته التي ثبتها خلال رحلته لبقاع العرض المختلفة.

2- مجمل ما مر به من ظروف وازمات وتحولات في حياته الى انها في نهاية المطاف تصب في جانب مهم وهو تفرغه الى جانب العلم والمعرفة ولتأخذ الجغرافية نصيبا مميزا من ذلك.

3- المتتبع للنصوص الموضوعة يجدها ملامح جغرافية بارزة مطرزة بالبعد التاريخي والمنهج الوصفي هو الاكثر وضوحا و ليتجلى لنا ان ما ثبته من مشاهدات هي نتاج للملاحظة المباشرة والتعامل مع الظاهرة الجغرافية بشكل دراسة ميدانية حقيقية اضافة الى جمع المعلومات من السابقين.

([891]) ناصر خسرو، المصدر سابق، ص178.
([892]) المصدر نفسه، ص179.
([893]) المصدر نفسه، ص 179.
([894]) المصدر نفسه، ص 179.

4- ملامح الجغرافية تتفاوت او تتداخل ضمن النص الجغرافي الواحد وهذا ما اتبعه اغلب اعلام الجغرافية خلال عرضهم لنصوص مشاهداتهم ورحلاتهم وافكارهم، فالجغرافية بشقيها الطبيعي والبشري استحوذت على اهتمام وعناية لدى كتابات ناصر خسرو لدى ما ثبته عن المدن الايرانية كان للجغرافية البشرية النصيب الاكبر.

5- الجانب الاقتصادي ذو الاثر الواضح في الدراسة فعندما يعرج على بعض مدن فهو يقف عند حجوم سكانها وطبيعة معيشتهم، وكيفية استغلالهم لمصادر المياه للزراعة وانتاج محاصيل متعددة، كمدينة تون على سبيل المثال التي اشتهرت بالمزوعات وبالأخص الفستق، او النخيل في ارجان، وغلات اخرى كما في بلخ، زد على ذلك فهو يعرج على اهم الصناعات القائمة في مدينة تون وهي صناعة السجاد، وهي من الصناعات التي لاتزال تشتهر بها المدن الايرانية.

6- برز دور التجارة والنقل بشكل كبير من خلال اعتماد موارد المياه وكميناء للتبادل البضائع ويشير الى ذلك في مدينة مهروبان الايرانية .

7- يركز على الجانب الاجتماعي للسكان وحجومهم، وتركيزه على الجانب الديني والمذاهب وانتشار المساجد مثل اصفهان و قاين وطبيعة معيشتهم واعمالهم مثل مدينة الوردوغان.

8- وعن الجانب العمراني فهو يركز على طبيعة البناء لتلك المدن وكيفية تفريقه لبناء المدن عن القرى حتى يعرج على الفرق بين مناخ المدن والقرى دلالة على التزايد السكاني ونوع الانشطة المقامة، كذلك امكانية تكيف الانسان مع البيئة والاستغلال الامثل لها وانشاء السرداب للسكن لما يتصف بالظروف البيئية التي تبعث في النفس الراحة.

9- لم يغيب الجانب الجغرافي الطبيعي فهو يصف اهمية الموارد المائية التي تعد عامل الاستقرار البشري الاول واقامة المزورعات، فضلا عن المناخ وطبيعة الظروف البيئة، وجمال الطبيعة في اغلب تلك المدن، وايضا طبيعة السطح.

التوصيات:

1- ان تسليط الضوء على تراث قدماء الجغرافية لا يعني انها نصوص تاريخية فحسب بل هي جغرافية الماضي، وعليه لابد من احياء تلك النصوص ودراستها.

2- كتب اوائل الجغرافية نتاجات جغرافية من المهم اجراء مقارنات بينها وبين الظروف القائمة في الوقت الحاضر، لكون الجغرافية تعنى بالتباين المكاني واسباب التغير عبر الزمن.

3- التعرف على نتاجات السابقين واحياءها يعني الاعتراف بالجهود وتثمين للأفكار الجغرافية التي تعتبر تغذية راجعة لجغرافية اليوم لذا كان لابد من الوقوف عندها وتبيان اثرها في التراث الجغرافي

المصادر:

- القران الكريم.

اولاً- الكتب:

1- احمد، رمضان احمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، ب ت.

الاصطخري، ابراهيم بن محمد (ت340هـ/951م)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة،1961

2- حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت،1981.

3- حميدة، عبد الرحمن،اعلام الجغرافيين العرب، ط1، دار الفكر، دمشق، 1993.

4- الدفاع، علي عبد الله، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية، ط2، مطبعة مكتبة التوبة، بدون مكان، 1993.

5- سعيد، ابراهيم احمد، ممدوح شبعان دبس، تطور الفكر الجغرافي، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق،2010-2011.

6- شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي (575هـ/1179م -627هـ/1229م)، معجم البلدان، المجلد(1،2،3)، ط8، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2010.

7- علوي، ناصر خسرو، سفر نامة، ط2، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
8- فهيم، حسين محمد، ادب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، 1989.
9- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليا نوفيتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ج1، الادارة الثقافية بجامعة القاهرة، القاهرة، 1957.
10- الهيتي، صبري فارس، الفكر الجغرافي نشأته ومناهجه، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2005.

ثانياً- البحوث:

1-حسن، رمزية حمزة، الجوانب الحضارية في (سفر نامة) ناصر خسرو(347-444هـ/1045-1052م الجانب السياسي والعسكري انموذجاً)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية "مجلة علمية محكمة"، المجلد8، العدد25، تشرين الاول 2016م-1438هـ .
2-الداغر، نزار عبد المحسن جعفر، صورة البصرة عند البشاري المقدسي وناصر خسرو قبل عام 375هـ-985م وعام 443هـ-1042م، مجلة آداب البصرة، المجلد1، العدد63، البصرة، 2012.
3-عصمت اسماعيلي، مكانة الشام والقدس في النصوص الادبية الفارسية "سفر نامه" ناصر خسرو-نموذجاً، دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008.